لمحة تاريخية

بطولة وفداء في مَيَّافارِقين

مقدمه

نظرة تاريخية خاطفة على أوضاع المنطقة المجاوره عشية أخذ المغول مَيَّافَارقين ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

٦٥٦ ـ ٦٥٨ هـ
١٢٥٨ ـ ١٢٦٠ م

د. سَعد بْن محَمد حذيفة الغامْدي

جاء المغول من قلب منغوليا إلى العالم الاسلامي في أواخر العقد الثاني من القرن السابع الهجري.

الثالث عشر ميلادي؛ وذلك عندما قاد جنكيز خان سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م جحافلهم ضد الأقطار الاسلامية الشرقية(١). وما إن شارف هذا العقد على النهاية حتى أضحت امبراطورية المغول جارة لمن تبقىٰ من الدويلات الإسلامية في الغرب، كالخلافة العباسية في بغداد، وأتابكيات الموصل وأربل، والإمارات الأيوبية في شمال الجزيرة وأرمينيا، والسلاجقة في آسيا الصغرى وارزن الروم؛ تلك الدويلات التي كانت الحروب الأهلية فيما بينها، شغل حكامها الشاغل، على

الرغم من شعورهم بقرب نهايتهم، واحداً بعد الآخر، على أيدي هذا الجار الجديد، فما إن رجع جنكيز خان، في خريف عام ٦١٩هـ/ ٢٢م من المنطقة الاسلامية إلى وطنه منغوليا، بعد حملته البركانية التي دمرت كل شيء تقريباً، حتى أصبحت الأراضي الإسلامية الممتدة من همدان وأقاليم فارس، وكرمان، وأذربيجان في الغرب حتى نهر سيحون في الشرق، ومن قمم جبال القوقاس وشمال بحر قزوين شمالاً إلى نهر السند جنوباً، كلها امست جزءا من أراضي الخان المغولي في «قراقروم»⁽٢⁾ وقد سبق لنا في بحث حول هذا الموضوع أن ناقشناه بنوع من التفصيل⁽٣⁾.

أما فيما يتعلق بأسباب الغزو المغولي للعالم الاسلامي، وما ذهب اليه المؤرخون المعاصرون لتلك الأحداث، والمحدثون من مؤرخي عصرنا الحاضر، حول هذه المسألة بالذات، فقد تناولت ذلك، وأبديت رأيى الشخصى، مستنداً على وثائق ومجريات الأحداث التاريخية، في كتاب لنا منشور الآن⁽٤⁾ أما ما يتعلق بالموقف المدهش، بل المذهل، والغير متوقع، الذي اتسم بالجبن والخور، من قبل سلطان الإسلام محمد خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩ م) عندما هرب أمام المغول، رغم انه لم يقابل جنكيز خان قط في مصادمة، هذا التصرف المخزى والمشين من قبل من كان يعتبر من أقوى السلاطين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي، لا من حيث إعداد جيوشه، ولا من حيث إمكاناته المادية واتساع رقعة أراضية،هذا الفعل المنكر، اسبابه ونتائجه تطرقنا إليه بنوع من الإسهاب في كتابنا الآنف الذكر⁽٥⁾.

عندما رجع جنكيز خان إلى بلده، بعد أن خلف وراءه الأراضي الإسلامية، وخاصة خراسان واقليم ماوراء النهر، وهي شبه أكوام من الدمار جاء جلال الدين بن خوارزمشاه (٦٢١ - ٦٢٨ هـ / ١٢٢٤ م) إلى الغرب من ممتلكات والده، وحاول أن يقيم له دولة على أنقاض ما خلفه المغول، إلا أنه لم يوفق في جهوده تلك، لأسباب كثيرة، لعل من أهمها وأبرزها دخوله مع الأمراء والحكام المسلمين المجاورين له، في تحزبات سياسية، وتكتلات عسكرية، وأحلاف معينة، مع البعض ضد البعض الآخر؛ الأمر الذي نتج عنه صراعات دامية، وحروب فتاكة بين أولئك الحكام

المسلمين في المنطقة لم تنته فيما بينهم إلا بعد أن جاء المغول، فأنهوا حكم الجميع، وقوضوا عروشهم العاجية، وصَفُّوهم بشكل نهائي؛ فأدخلوا أراضيهم ضمن الممتلكات المغولية، على أيدي قائدين من كبار قوادهم⁽⁶⁾ وقد سبق لنا دراسة ذلك في كتابنا السابق أيضاً⁽⁷⁾

ولكن إعصار المغول المدمر الثاني جاء في أوائل العقد الأول من النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما قاد جحافلهم الجرارة حفيد جنكيز خان، هولا كوبن تولي بن جنكيز خان، وذلك في حملتهم المشهورة ضد الأقطار العربية، فاستنزل الإسماعيليين من قمم جبالهم في إيران؛ وتقدم غرباً وقضى على اللور والأكراد في حصونهم العالية على جبال زاجروس؛ ثم سار إلى بغداد، فقوض عرش الخلافة العباسية، وقضى على آخر خلفاء بني العباس⁽⁸⁾ ثم بعد ذلك شرع في إنهاء المرحلة الأخيرة من حملته، وهي الاستيلاء على بلاد الشام ومصر.

جاء هولاكو إلى المنطقة لينفذ أوامر الخان الصادرة اليه، بعد اجتماع عام في عاصمة المغول؛ تلك الأوامر التي تنص على أن يتوجه إلى الغرب، ويفتح الأراضي فيها حتى حدود مصر الغربية⁽⁹⁾ وقد سارت هذه الحملة، دون أن تلقى صعوبة في انجاز مهامها، سواء في المرحلة الأولى (ضد قلاع الإسماعيليين في ايران) أو الثانية (ضد الخليفة في بغداد) أما في آخر مرحلة لها، وهي الثالثة، فقد تعثرت منذ بدايتها، وذلك لظروف داخلية، بصفة أساسية، تتعلق بوفاة الخان المغولي في الشرق⁽¹⁰⁾. هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فقد ظهرت علامات المقاومة لتلك الحملة منذ البداية، بل وقبل الاستعداد والسير لتنفيذها؛ عندما أعلن حاكم مسلم واحد في الغرب عداءه وتصديه للمغول، وقرر صادقاً على أن يقف في وجه هولاكو، ويتحدى قواته الضاربة، التى جاءت من الشرق، وكأنها إعصار من نار تحرق كل شيء ذلك الحاكم هو محمد الكامل، ملك «مَيَّافَارِقِين». ولقد استطاع هذا الرجل أن يقف، ومعه أهل مدينته من خلفه، في وجه جحافل المغول وأتباعهم من المسلمين وغيرهم، قرابة سنتين، وهو يقاتلهم حتى الرمق الأخير، فقضى نحبه شهيداً، فخلد التاريخ ذكره، كواحد من شهداء المسلمين. وهنا أقول : **« انه إن كانت هناك وقفة شجاعة من قبل حكومة المماليك في**

مصر، ومـا تـلا ذلـك من بطـولات في «عين جالوت» فاعقبها ذلك الانتصـار الذي تردده الأجيال منذئذٍ. فقد وضع محمد الكامـل من «ميافـارقين» حجـر الأساس لذلك الانتصار الكبـير في عين جالوت. لأن مـوقفه المتحـدي لقوات هـولاكو، رغم صغـر حجم مـدينتـه، والقلة المتناهية لإمكانـاته القتـالية، من الرجال والعتاد، إذا ماقـورنت بما لدى خصومه، جعل المـماليك في مصر يقدمون على اتخاذ عين الموقف، وهـو النـزال للخصـوم، والـوقـوف امـام هـولاكو لـرد عاديتـه؛ وشجعهم على نبذ الاسطورة التي تقول بان المغـول قوم لا يمكن الوقـوف امامهم أو ينـال نصر عليهم(١١).

بعـد أن اجتـاحت قـوات هـولاكـو بغـداد، وقُتـل خليفتُهـا المستـعصم، أضحت ممتلكات الدولة العباسية جزءاً من أمـلاك الخـان في قلب منغـوليـا؛ وأمست امبراطوريته يحدها من الجنوب الغربي نهر الفرات. ولم يبق على هولاكو الا الشـام (وقد نجـح نجاحـاً منقطـع النظير في احتلال أراضيه) ومصر؛ ولولا وفـاة اخيه منكـو، لكانت الكـارثة حقـاً «ولكن الله سَلَّمَ». وقـد سار هـولاكو من اقليم أذربيجـان متجهاً لتنفيـذ آخـر مـرحلة في حملـة المغول الغـربية، بعـد راحـة دامت أكثـر من سنـة ونصف؛ فاجتاحت قواته شمال الجزيرة؛ إلا أنها تعثرت في «ميافارقين» وتكبـدت خسائـر كبيرة قبل أخذ المدينة. «ولولا الجوع لم يتمكن المغول من أخذها»(١٢).

«حصار وسقوط «مَيَافارِقِين»
على أيدي المغول وأتباعهم

جاء في الروايات التاريخيـة والمعاجم الجغـرافيـة التى تسنىٰ لنـا الـرجـوع اليهـا، أن مدينـة «مَيَّافَـارِقِـين» كـانت إحدى المدن التاريخية القديمة الـواقعة في شمال العراق؛ حتى أن تاريخها ليبدأ من قبـل ميلاد المسيـح عيسى بن مـريم « عليـه وعـلى نبينـا افضـل الصلـوات والتسليم »، وهي مدينة كـانت محاطـة بحـائط رفيـع البنـاء، وهـو مبني من الصخور، وبها قلعتان حصينتان يقـول عنها في هذه الفتـرة المؤرخ المعاصر لهـا ابن الأثير بأنهـا: «قلعة حصينـة منيعة من حصون الروم القديمة»(١٣). ويقـول عنهـا صاحب مصنف «نـزهة القلـوب» بـأنها من ديـار ربيعة، وتقـع في الإقليم الـرابع ....، وأنهـا مدينـة كبيرة، ذات مناخ جيد، وبها فواكة كثيرة»(١٤). امـا

صاحب كتاب «حدود العالم» فيذكر أنها مدينة تقع على الحدود بين أرمينيا والجزيرة والروم(١٥). اما اسمها في الأوساط الغير اسلامية، فقد ورد عن الكتب السريانية واليونانية، بأن مدينة «مَيَّافَارِقِين» تسمى باللغة الأرمنية «نيفوكارد Nephugard» أما في اللغة السريانية فتسمى «ميفركت Maifarkat»(١٦). كما تعرف في الأوساط الغربية المسيحية بـ «مارتير بوليس Martyrpolis» اي مدينة الشهداء(١٧).

كان يحكم هذه المدينة وتوابعها الملك الأيوبي محمد الكامل بن شهاب الدين غازي بن الملك العادل(١٨) وعلى الرغم من انه كان قد أعلن نوعاً من الولاء للمغول، في بادىء أمرهم، إلا أنه عندما حزب الأمر، وجاءوا ليقضوا على الخلافة العباسية، نبذ الولاء لهم، وجيش كتيبة عسكرية ارسلها نجدة للخلافة في بغداد؛ ولكن المغول وأتباعهم كانوا أسرع في إنهاء مسألة احتلال بغداد؛ فرجعت كتيبته من مكان يعرف بـ «بشيرية»(١٩). ثم بعد ذلك قَتَلَ شحاني المغول الذين عنده، واستعد لمنازلة المغول، وآلى على نفسه بألا يأخذ المغولُ مدينته بتلك السهولة التي أخذوا بها بغداد.

على الرغم من أن مصادر مادتنا التاريخية في هذا الموضوع قد أخفقت في ذكر التاريخ الذي بدأت القوات المغولية قتالها وحصارها لأهل «مَيَّافَارِقِين»، إلا أن جميع القرائن والأحداث التاريخية تدل على أن ذلك ربما كان في أشهر النصف الثاني من عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ؛ فقد كان على رأس هذه القوات أحد قادة هولاكو، ويدعى «إيلكا نويان». الذي يبدو لنا أن قوات هذا القائد كانت طلائعية لقوات لحقت بها فيما بعد، وعلى قيادتها ابن هولاكو نفسه

لم تستطع هذه الكتيبة المغولية أن تنال من أهل المدينة، أو أن تحرز أي تقدم في عملياتها العسكرية؛ بل على العكس من ذلك فقد سيطر أهل المدينة على الموقف، اذا ما صدقنا رواية، في هذا الشأن أوردها لنا المؤرخ الشامي المعاصر لتلك الأحداث، أبو شامه، حيث يقول : « ...، وفتك فيهم صاحب ميافارقين الكامل بن شهاب الدين غازى بن العادل أيده الله بنصره لما حاصرها...»(٢٠) وقد استمرت هذا الكتيبة المغولية في حصارها لمحمد الكامل، الذي كانت كفته هي الراجحة

عليهم، حتى جاءت قوة إضافية من المغول وأتباعهم من المسلمين، كبدر الدين لؤلؤ(٢١).

كما تبع ذلك نقصان في المواد التموينية لدى أهل المدينة، وأخذت الأمراض تنتشر بينهم، حتى الاشهر الأخيرة من عام ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م. وهنا نجد هولاكو يفرد كتائب عسكرية أخرى، تعزيزية، ويرسلها لتلحق بقوات «إيلكا نويان» وهو في طريقه على رأس قواته الباقية التي سار بها إلى الشام(٢٢).

جاءت تلك القوات المغولية الجديدة يقودها «يَشْمُوت بن هولاكو» وقائد آخر، من كبار قادتهم هو «سُونْتَاي نُويَّان». لما قرب «يشموت» وزميله من «ميافارقين» سلك نفس الطريق الذي يلجه المغول، بوسائلهم وأساليبهم الملتوية، لا ستنزال خصومهم من معاقلهم المنيعة؛ فقد أرسل رسلاً إلى محمد الكامل يدعونه إلى السمع والطاعة والاستسلام لهم، ووعده الأمن والسلام. وهنا يورد لنا رشيد الدين نص إجابة هذا الأمير الأيوبي فيقول : « ينبغي على الأمير ألا يضرب في حديد بارد، وإلَّا يتوقع شيئاً مستحيلاً، لأنه لا يوثق بوعدكم، فإنني لن أنخدع بكلامكم الرقيق، ولن أهاب جيش المغول، وسأقاتل بالسيف مادامت لي نفس حية، فإنه لا يوثق بابن رجل غادر بوعده وميثاقه مع خورشاه(٢٣) والخليفة(٢٤) وحسام الدين بن عكا(٢٥) وتاج الدين (والي) أربيل(٢٦) خاصة وأن الملك ناصر الدين قد جاءكم بأمانكم فلقي في نهاية الأمر ما لقى(٢٧)، «واذا انخدعت بكلامكم» فإننى سوف ألقى مالقوه»(٢٨).

هكذا، أوضح محمد الكامل موقفه من المغول فإنْ هم أرادوا أخذ بلدته فلن يأخدونها بسهولة ويسر، بوعود واهية كاذبة خادعة، كما أخذت قلعة خورشاه، وقلاع حسام الدين في عكا، ومدينة بغداد؛ بل عليهم أن يقاتلوه لاخذها، فيكون منهم ضحايا. فأخذ يتأهب لهم؛ وهنا يقول ابن العبرى : « ... ، وبينما هو كذلك أدركته عساكر المغول وأحاطت بمدينته وفي رأس العسكر يشموت بن هولاكو. وفي يوم وليلة بنى المغول حول مدينته سوراً وحفروا خندقاً عميقاً ثم نصبوا عليها المنجنيقات، وابتدأوا بالقتال، وقاتلوا قتالاً شديداً من الجانبين»(٢٩).

استطاع هذا الأمير الأيوبي أن يقف في وجه المغول لمدة تزيد على سنة ونصف؛ كبدهم خسائر كبيرة، كان على رأس القتلى قائد كبير برتبة «نويان»(٣٠) ولعلنا نتساءل عن سبب صمود أهل المدينة الطويل ذلك، وما ألحقوه من خسائر في صفوف القوات الغازية ؟ ربما نجد الإجابة على هذا السؤال في بعض النقاط، لعل من أهمها :ـ

أولاً : صدق أمير المدينة في حربه ضد غزاة الأهل والوطن؛ وحبه أن ينال الشهادة، والشهادة فقط، لأنه لم يكن يأمل ـ على ما أظن ـ أن يحرز نصراً على المغول بمفرده؛ لأن هذا الأمل يعني قلب النظريات العسكرية في بديهيات الأمور. فلا أعتقد بأن أحداً يظن بأن جمهورية منغوليا الحالية في مقدروها أن تحرز النصر العسكري على جمهوريات روسيا السوفيتية، في حالة قيام حرب معها، في هذا التاريخ من القرن الخامس عشر هـ / أواخر العشرين م. فلم يكن في استطاعة ذلك الأمير الأيوبي وحده أن يهزم امبراطورية المغول الواسعة الارجاء، وبما كان تحت يدها من إمكانات، وعدة الحرب وعتاده، ولو قلنا إنه كان يهدف من وراء وقفته الشجاعة تلك هزيمة هولاكو لا تهمنا انفسنا واتهمناه بالمكابرة. فقد كان خير من عرف المغول، وخبر قوتهم وكيف حطموا عروش ملوك قبله وقوضوا ممالك ودولا، بل امبراطوريات، قبل أن يصلوا إلى مدينته الصغيرة، إذن كان يقاتلهم، هو ومن معه قتال من يسعى وراء الشهادة فقط؛ فقد كان يقول : « سأضرب بالسيف مادام فيّ رمق ينبض بالحياة»(٤١).

ثانياً : الوقفة الفذة التي وقفها إلى جانبه مواطنوه؛ فلم يكن ذلك الموقف ليدعو إلى الدهشة، فالقتال حمية للدين، ودفاعاً عن الأهل والنفس والوطن من أهم أسباب وقوفهم خلف أميرهم كيف لا ! وهو خير من يقف امرؤ خلفه فلم يبخل عليهم بماله، ولا بغذائه، أو بلباسه، أو بما تحويه مخازن مدينته؛ وقد أعلنها قائلاً : «إنني لن أبخل عليكم بما أملكه في المخازن من الذهب والفضة والغلال، فسوف أبذلها جميعاً في وجوهها وأُوثر بها المحتاجين. فإنني بحمد الله لست كالمستعصم عبداً للدرهم والدينار، حيث اطاح برأسه، وفقد مُلْكَ بغداد بسبب بخله وامساكه»(٣٢). وهنا أرى من الأنسب

إيراد أمثلة، أوردتها مصادرنا التاريخية نستدل بها على موقف أهل المدينة الذي اتسم بالبطولة النادرة، والشجاعة الفذة، وعلى قمة المدافعين بطلان عظيمان هما : عنبر الحبشي ورفيقه في الكفاح والمصير سيف الدين لوكبلي(٣٣). استبسل الرجلان وجاهدا في الله حق الجهاد؛ حيث تقول مصادرنا إن هذين البطلين كانا يخرجان من المدينة فيجالدا المغول، فيفتكان بهم، وفي كل مرة تبلغ ضحاياهما مايقارب عشرة من فرسان الأعداء، ففي اليوم الرابع في الحصاد، كانت ضحيتهما قائداً كبيراً هو «ناوري الكرجي» عندما خرج ليأخذ بثأر زملائه ممن سبقه إلى حتفه، فألحقاه بهم(٣٤) وما إن يرجعا إلى المدينة حتى يستأنفا قتال الأعداء، مع إخوانهم سكان المدينة من خلال ابراجها.

ثالثاً : حصانة المدينة ومناعتها؛ فقد كانت «ميافارقين» تتمتع بموقع حصين، وتحصينات عالية، الأمر الذي جعل أمر الدفاع عنها شيئاً ميسوراً بحيث يستطيع المدافعون عنها أن يقاموا العدو مهما طال بهم الزمن، متى توفر عندهم الغذاء والماء. وسنجد أن المدافعين لم يستسلموا إلّا عندما نفذ هذان العنصران من المدينة؛ فقد كانت المدينة يدافع أهلها عنها بمنجنيق واحد تقريباً، اقيم واحكم بناؤه. فكان يهلك بحجارته اناساً كثيرين، مما اعجز العدو قهر المدينة؛ فوقفوا حيارى لا يدرون ماذا يفعلون.

اخذ العدو يفكر فيما يفْعَل امام هذه المشكلة، فهداهم تفكيرهم إلى رجل مسلم من أتباعهم: كان ذلك هو الملك بدر الدين لؤلؤ، حاكم الموصل. كان لهذا التابع المسلم مواقف تدل على الإخلاص لأسياده المغول(٣٦) لم يتورع هذا الشيخ المسن، وقد بلغ ستاً وتسعين سنة من العمر، عن المساهمة مع المغول في المذابح التي ارتكبوها ضد إخوانه المسلمين حتى وإن كانت مشاركة ضد محمد الكامل، الذي قال عنه المؤرخون بأنه قد إشتهر بالصلاح والتقوى والزهد والتعبد والعيش من كسب يده. أرسل بدر الدين رجلًا ماهراً كان لديه، في عمل المنجنيقات وبشكل متقن. أقام ذلك الرجل الماهر منجنيقاً على مرتفع عالٍ ، في مقابل منجنيق أهل المدينة؛ وبناه بإتقان ودقة متناهية، فكان من دقته انه اذا أطلق أهل المدينة

قذيفة منجنيقهم أطلقت قذيفة منه فتصطدم القذيفتان في الهواء، فأذهل الناس من مهارة القائمين على هذين المنجنيقين. وفي النهاية استطاع سكان المدينة أن يسكتوا سلاح عدوهم، فقد التهمته النيران، وربما بقذيفة من النفط الملتهب، وقعت عليه فأحرقته، أو أن أهل المدينة قاموا بهجوم ليلي، فأحرقوه فأسقط في أيدي الأعداء(٣٧).

كان هولاكو قد عاد من الشام، بعد اجتياحه لأراضيها في طريقه إلى الشرق، بعد أن وصلته أنباء وفاة أخيه(٣٨). ويبدو لنا أن هذا الأمير المغولي قد أُبْلِغَ بأن ابنه لم يفلح في مهمته العسكرية ضد «ميافارقين»؛ فأرسل جيشاً تعزيزاً يقوده «أرفتو نويان»(٣٩) وكانت أوامره اليه بأن يمتنع عن قتال أهل المدينة، لئلا يعرض جنده لخطر الموت، كما فُعِلَ بمن سبق، إذ رأى هولاكو بأنه من المستحيل أن تؤخذ المدينة عنوة، وهذا بعكس ماأورده مصنف كتاب «الحوادث الجامعة»(٤٠) فكانت الأوامر تقضي بأن يحاصروا أهل المدينة من جميع جهاتها، وليمنعوا دخول أي شيء إليها أو منها، حتى يموت أهلها وتنفق دوابهم، بعد أن تنفذ التموينات؛ بهذه الوسيلة الوحيدة الباقية لدى المغول، لإخضاع أهل «ميافارقين»(٤١).

يبدو لنا أن يشموت بن هولاكو لم يعد القائد المباشر لحصار هذه المدينة، فقد ذكرت مصادرنا بأن «أرقتو نويان» أُرْسِلَ لمساعدة القائد الأول الذي قاد طلائع قواتهم، «إيلكا نويان» ولعل الأمير المغولي وجد من المستحيل اجتياح المدينة بالقوة، فترك «ايلكا» محاصراً لها، وذهب هنا أو هناك، ولكنه غير بعيد، فاستُدِعى عندما استسلمت المدينة.(٤٢).

استسلام «ميافارقين»

بعد حصار دام لأكثر من سنة ونصف، نفذت المؤن والذخائر، وأعلاف الدواب من المدينة؛ وأصبح الناس فيها يقتاتون على كل ما يقع تحت أيديهم، ومن أي شيء كان. دبت المجاعة إلى المدينة، من جراء الحصار الطويل؛ فأكلوا الميتة، والدم، والقطط، والكلاب، والفئران؛ بل لقد أجبرهم الجوع المرعب والمجاعة المهلكة إلى أن يقتاتوا على لحوم الآدميين. أصبحت الأم تاكل ابنها، والأب ياكل ولده، وبالعكس، الابناء

يأكلون الآباء والأمهات(٤٣)

ونتيجة حتمية لذلك، استشرى المرض بين الناس، فدب الموت إلى مدينة الكامل محمد، بعد أن خيمت الأوبئية على سمائهم، فلم يكن لساكنى «ميافارقين» نجاة من المحتوم؛ فماتوا فوجا بعد فوج، في الطرقات، في الحوانيت، في البيوتات وفي كل مكان، « ....، لأنهم هلكوا جوعاً وماتوا. ولولا ذلك لم يتمكن المغول من أخذها ..»(٤٤).

أما ما يتعلق بهذين الفارسين، فقد قتلا جواديهما، بعد أن نفذت الأعلاف، فاقتاتا مع أصحابهما على لحم الجوادين. وقد قررا الخروج لقتال العدو حتى يستشهدا، إلا أن الكامل محمد منعهما من ذلك. وهنا أرسل بعض من الأفراد الباقين، بشكل سري كما يبدو لنا، وهم أحياء شبه أموات، إلى الأمير المغولي برسالة يطلبون الأمان ويقولون، له: «...... إنه لم يعد في المدينة أحد قادر على القتال، فلم يبق سوى عدة أفرادهُم بأرواحهم أحياء وبأجسادهم أموات، فلو قدم جيش الآن فليس هناك مخلوق قادر على النهوض لمجابهته»(٤٥).

أرسل يشموت رسولاً من عنده، هو القائد «أرقتو نويان» نفسه، ليتأكد من صحة تلك الرسالة، وليستطلع الأخبار عن كثب. دخل «ارقتو» بجنده المدينة، وفعلاً لم يجد فيها من يقوى على النهوض لقتاله؛ فمن كانت له قدرة على الحركة هرب ليبحث عن ملجأ أو مغارة أو سرداب، لينجو من سيف المغول، وأتباعهم من المسلمين أمثال بدر الدين لؤلؤ؛ ولكن أين المفر، فلم يعد هناك مفر لهارب. جاء «ارقتو» وجنده، فأتوا على البقية الباقية. اما الفارسان المسلمان، فقد خرجا لقتال المغول، ففتكا بهم فتكاً، ولكن تكاثرت عليهما جيوش الغزاة، فصعدا على سطح أحد المنازل وشرعا يرشقان العدو بسهامهما ثم نزلا يجالدانهم بسيفيهما، فتكسرت النصال، فانهال عليهما المغول، فقتلوهما شهيدين، «يرحمهما الله، ويرحم شهداء» «ميافارقين».

وهكذا استباح المغول الغزاه هذه المدينة، بعد حصار طويل، عانى أهلها معاناة، فوق طاقة البشر، وقاسوا الشدائد حتى استشهدوا جميعاً. يقول. أبو الفدا « ... ، وفي سنة ٦٥٨ (هـ / ١٢٦٠ م) استولى التتر (يعني هنا بالطبع المغول) على ميافارقين، واستمر

الحصار عليهم مدة سنتين حتى فنيت ازوادهم وفني أهلها بالوباء والقتل وصاحبها الملك الكامل محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مصابراً وثابتاً وضعف من عنده عن القتال ...»(٤٦) وقال أبو شامة بأن الكامل محمد صبر على مجاهدتهم أكثر من سنة ونصف(٤٧). وحول هذا الموضوع يذكر رشيد الدين، بأنه عندما دخل المغول المدينة وجدوا كافة أهلها موتىٰ، وقد سقطت جثثهم وتراكم بعضها فوق بعض، ماعدا سبعين شخصاً كانوا نصف أموات وقد اختفوا في المنازل ... »(٤٨).

مصير محمد الكامل

ملك «ميافارقين»

قبض المغول على الملك محمد، على اثر استسلام المدينة، وعلى أخيه(٤٩). وقد اخذا وأحضرا إلى يشموت، فأرسلهما بدوره إلى والده، الذي كان مقيماً في مكان يعرف بـ «تل باشر» على نهر الفرات(٥٠) وهنا تذكر بعض مصادر مادتنا أن هولاكو أمر بمحمد الكامل «لِيُقَطَّع إرباً إرباً؛ فكانوا يقطعون اللحم منه قطعة قطعة ويضعونها في فيه حتى مات في سنة ٦٥٧ » (هـ / ١٢٥٩)(٥١). الا أن ابن العبرى لم يذكر هذه الميتة الشنيعة، أو ذاك التمثيل في أبشع صوره، بل اكتفىٰ بالقول بأنهم قتلوا «الاشرف صاحبها وبعد ذلك ندم هولاكو على قتله»(٥٢).

ولعل الذي يهمنا هنا هو : لماذا ندم هولاكو على قتل هذا الأمير الأيوبي المجاهد ؟ ربما كان هولاكو يأمل بأن يستعين بكل أمير أو مسئول يقع تحت يده لخدمة أغراضه، وخاصة فيما يتعلق بفتوحاته المستقبلية الباقية من مهمته في حملة المغول الغربية هذه، وهي اراضي مصر. كما أن هذا الفعل لم يخدم اية مصلحة للمغول، على الأقل في وقت مثل هذا، حيث لم تنقشع تلك الغمامة السوداء، التي أمست تخيم على سماء العلاقات السائدة بين أحفاد جنكيز خان، مؤسس دولتهم وبانى مجدهم؛ فلم يكن قد تم تعيين خان جديد ليعتلى عرش المغول، وأمتهم ومن يستبسل في الدفاع عنهم، لخدمة أغراض المغول لإخضاع ما تبقىٰ من أراض تقع ضمن مخططهم المستقبلي القريب.

لقد شعر هولاكو بأنه قد تسرع

عندما حكم على هذا الأمير الأيوبي بالقتل، وإن كان مصيره القتل، فى أغلب الظن، كما حصل للناصر يوسف، ، صاحب الشام، وكبير بني أيوب(٥٣).

ولعل السبب في تسرع هولاكو ماكان يغلي في صدره من حنق وغيظ على الكامل، وذلك لما الحقه من خسائر كبيرة في صفوف قواته، طوال سنتي الحصار؛ فندم بعد أن هدأت ثائرته، ولكن أنَّىٰ للندم من جدوى. لذلك نجده يصطنع أحد رجال محمد الكبار، ويدعى عبد الله، وينصبه خلفاً لسيده ليحكم «ميافارقين» تحت المظلة المغولية. اما الشهيد محمد، فقد قطع راسه، واخذ إلى مدن الشام، ليطاف به هناك. وحول هذا الموضوع يذكر أبو الفداء قائلاً : « ...، فاستولى التتر (وهو يقصد هنا بكل تأكيد المغول) عليها وقتلوا صاحبها الملك الكامل المذكور وحملوا رأسه على رمح وطيف به في البلاد ومروا به على حلب وحماة ووصلوا به إلى دمشق ...»(٥٤).

لم يكن المغول وأتباعهم من المسلمين وحدهم الذين تباهوا بمقتل رجل مجاهد، والتطواف براسه في المدن الرئيسية في الشام، فقد كان هناك العدو اللدود الأول للمسلمين والاسلام الذي خضع وخنع لسلطان المغول، وتذلل لعبودتيه، ذلك العدو : هم الصليبيون؛ قاموا بدور فعال في حملة المغول، وعلى رأسهم «بو همند الرابع» ملك انطاكية. والملك «حايقوم» ملك أرمينيا، ناهيك عن الجرجانيين (الكرج) الذين كان لهم دور كبير في هذا الشأن.(٥٥) فقد قاموا بحمل رأس ذلك الشهيد والتجوّل به في الحارات والشوارع، في تلك المدن الشامية، ومنها مدينة دمشق، وهم يغنون ويضربون الطبول. وبعد أن شفيت فيهم الروح الصليبية الحاقدة للانتقام من المسلمين، نجدهم يعلقون رأس ذلك الأمير الشهيد داخل شبكة على أحد أسوار ابواب دمشق. وهنا يذكر ابو شامة، وهو ممن عاصر هذه الأحداث، وشاهد أحداثها، وممن رأى ذلك الرأس، مانصه : « وفي يوم الاثنين ٢٧ جماد الأول(٥٦) طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره فوق قطعة شبكة زعموا أنه رأس الكامل محمد بن شهاب الدين غازى بن العادل صاحب ميافارقين الذي دام التاتار (يعني المغول) على حصاره اكثر من سنة ونصف ولم يزل ظاهراً عليهم إلى أن فني أهل البلد فوجد مع من بقى

من أصحابه موتىٰ أو مرضىٰ، فقطع رأسه وحمل إلى البلاد فطيف به بدمشق ثم علق على باب الفراديس الخارج ...»(٥٧).

ظل الرأس معلقاً حتى عادت دمشق إلى سلطة المسلمين، على أيدي المماليك، بعد معركة عين جالوت: فأُخِذَ الرأس ودفن في مكان يعرف بمشهد الحسين في مسجد الرأس، داخل باب الفراديس، إلى الجهة الشرقية من المحراب في أصل الجدار، وإلى الجهة الغربية من المحراب طاقة يقال إن رأس الحسين بن علي (رضي الله عنهما) قد دفن فيها(٥٨).

اتفقت جميع مصادرنا الإسلامية، فارسية وعربية، تقريباً على أن هذا الرجل الشهيد، إن شاء الله، كان من الحكام الصالحين، وأنه كان زاهداً، وعابداً، بل وفوق ذلك كله أنه كان يعيش من تعبه وشغل يديه، فقد ذكرت تلك المصادر أنه كان يعيش على الخبز ومن أجر الحياكة(٥٩).

رحم الله ذلك البطل المظفر الشهيد، ورحم الله شهداء «ميافارقين» الذين ضربوا المثل في التحدي والصمود أمام جحافل البغي والعدوان.

قائمة الهوامش والتعليقات

(١) ولد جنكيز خان في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ربما في سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٥ م، واسمه «تيموجين». لمعلومات عن هذا الخان المغولي، راجع مؤرخ المغول الأول، رشيد الدين «جامع التواريخ» جـ ١ / ٢٣٣ «لمعلومات وافية عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر رقم (٨). وكذلك انظر الحواشي الواردة في كتابنا «سقوط الدولة العباسية» لمعلومات عن هذا المرجع انظر قائمة المراجع رقم (٢١) ص . ص : ٥٧ ـ ٥٨ ».

(٢) كلمة «قراقروم» تعني «الحجارة السوداء» وهي عاصمة الدولة المغولية التي اسسها جنكيز خان.

(٣) لمعومات اكثر تفصيلاً، انظر كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص . ص : ١٠٩ ـ ١٣٨.

(٤) حول هذا الموضوع، وما اورده المؤرخون في هذا الصدد، راجع ما قلناه، ورأينا في ذلك، في كتابنا «أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الاسلامي»، ص . ص : ٢٣٧ ـ ٢٧٣.
«لمعلومات وافية عن هذا المرجع انظر قائمة المراجع رقم (٢٢) ».

(٥) راجع التفاصيل في مؤلفنا المذكور في الحاشية السابقة، ص . ص : ٢٧٥ ـ ٣٠٤.

(٦) كل ما يتعلق بالقائدين المغوليين « تشر ماغون نويان أو جرماغون

نويان» وزميله «بايجو نويان» وعملياتهما العسكرية ضد الأراضي الإسلامية في جنوب غرب أسيا، يمكن الرجوع إلى كتابنا المذكور في الحاشية رقم (١)، ص . ص : ٢٩٩ ـ ٣٠٣، ص . ص : ٣٦٠ ـ ٣٦٨ . وفي مصنفنا المذكور في الحاشية رقم (٤)، ص . ص : ٣٥٨ ـ ٣٦١.

(٧) يمكن مراجعة ذلك بالتفصيل في كتابينا السابقين، وفي فصول مختلفة منها، ويدلك أيها الباحث الكريم عنوان الفصل في محتويات كل واحد من الكتابين المذكورين.

(٨) كل شيء يتعلق بحملة المغول الغربية هذه، وما جرى فيها من أحداث سياسية وعسكرية، ومدى مساهمات حكام مسلمين فيها، وكيف قضت على ركن الدين خورشاه، اخر حكام طائفة الإسماعيليين؛ ثم دخول المغول بغداد، كل ذلك ذكرناه في كتابنا «سقوط الدولة العباسية» في الفصلين الرابع، والخامس، اي في الصفحات من ٢٤٥ إلى ٣٨٠.

(٩) اجتمع المجلس الأعلى للمغول، برئاسة الخان منكو نفسه، وهو ما يُدْعَيْ بـ «قوربلتاى» عقب انتخابه وتعيينه كـ «قاآن» جديد للمغول، وقرر أن يرسل المغول حملتين عسكريتين لهم، شرقية وغربية، وذلك في عام ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م؛ فأخذ قيادة حملة الشرق، واسند الى اخيه الاصغر منه، هولاكو بمهمة قيادة الحملة الغربية، وأوصاه بعدة أشياء. لمعلومات وافية عن هذا الاجتماع، وعن فحوى وصاياه لاخيه انظر، كتابنا «سقوط الدوَلة العباسية» ص . ص : ٢٤٧ ـ وبعدها، وما ورد في هوامش تلك الصفحات من مصادر أولية تتعلق بذلك.

(١٠) توفي منكو قا آن (٦٤٩ ـ ٦٥٥ هـ / ١٢٥١ ـ ١٢٥٧ م) في محرم من عام ٦٥٥ هـ / كانون الثاني ـ شباط (يناير ـ فبراير) ١٢٥٧ م. انظر، رشيد الدين، «جامع التواريخ» جـ ١ / ص . ص : ٦٠٣ ـ ٦٠٤.

(١١) عقد محمد الكامل العزم على الوقوف في وجه المغول منذ أوائل سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، عندما أرسل قوة صغيرة من عنده، نجدة للخليفة في بغداد، بينما كانت معركة «عين جالوت» في شهر رمضان من عام ٦٥٨ هـ / ايلول (سبتمبر) ١٢٦٠ م. اما بداية قتال المغول لمحمد الكامل فقد كان، كما يبدو لنا، في أوائل النصف الثاني من نفس العام، اي عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

(١٢) ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٨٠ . (عن هذا المصدر انظر كشاف المصادر رقم (١٠).

(١٣) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» جـ ٧ / ص : ٩٢. (عن هذا المصدر انظر كشاف الصادر رقم (١).

(١٤) القزويني، «نزهة القلوب»، ص ١٠٥ . (عن هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (١٤).

(١٥) مجهول المؤلف «حدود العالم»، ص : ١٤٣. (عن هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (١٦).

(١٦) الجوزجاني، «طبقات ناصرى» الترجمة الانجليزية، جـ ٢ / ص : ١٢٧٠، حاشية ٩ . (حول هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (٣) حيث نقل المحقق والمترجم لهذا الكتاب الهام من كتاب ياقوت الحموى، الموسوم ب «معجم البلدان» جـ ٥ / ص . ص : ٢٣٥ ـ ٢٣٨ (عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر رقم (١٨)

(١٧) فيما يتعلق بسبب تسميتها بهذا الاسم، انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحات (اي كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموى).

(١٨) توفي شهاب الدين غازى سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م، وخلفه على حكم «ميافارقين» ابنه محمد الكامل (٦٤٤ ـ ٦٥٨ هـ / ١٢٤٦ ـ ١٢٦٠ م). وقد قبل حاكم هذه المدينة وتوابعها الخضوع للسلطة المغولية، لانه لم يجد من الحكام المسلمين من يعينه لايجاد وحدة تقف صفاً واحداً في وجه هذه القوة الرهيبة. وقد ذهب بنفسه إلى عاصمة المغول، وقابل خانهم هناك، ورتب معه مسألة منع قوات الخان من ان تتعدى علي ممتلكاته: فعاش معهم في سلام، حتى هددوا بغداد، فنبذ ولاءهم، وحاربهم. فيما يتعلق بمفهوم المغول للاستسلام انظر : Carpini, S. «History Ofthe Mongol» P.2. المعلومات عن هذا المصدر الهام انظر كشاف المصادر رقم (١٩). اما ما يتعلق برحلة محمد الكامل الى منغوليا، فراجع ذلك في : الجوز جانى، «طبقات ناصرى» جـ ٢ / ص . ص : ٢٠٠ ـ ٢٠١، الترجمة الانجليزي جـ ٢ ص : ١٢٦٥. وكذلك نفس المصدر الاخير والصفحه، حاشية رقم (٢) نقلاً عن المؤرخ والأديب «الفى» من ان الكامل كان أول الحكام المسلمين الذين ذهبوا إلى هناك : رشيد الدين، «جامع التواريخ» جـ ٢ / ٢٢٧ : الترجمة العربية، جـ ٢ / ص . ص : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ : ابن العبرى ـ «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٧. اماما يتعلق بشهاب الدين غازى، وتقواه وورعه فراجع في ذلك : «مرآة الزمان» لسبط بن الجوزى. جـ ٨ / حوادث سنة ٦٤٤ هـ.

(١٩) تقع بشيرية (أو بشرية، أو بشارية) بالقرب من نهر دجيل. وقد جرى على ارضها معركة بين جيش المغول (ميمنته) بقيادة بايجو نويان، وبين جيش الخلافة، بقيادة الدويدار (الدواة دار) الصغير، هزم فيها الأخير، وعلى اثرها سقطت خلافة العباسيين وقتل اخر خلفائها، المستعصم. حول هذه القرية، انظر : رشيد الدين «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ٧٠٩ : وصاف الحضره، «تاريخ وصاف»، ص : ٢٥ (لمعلومات عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر) (١٧).

(٢٠) ابو شامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، ص : ٢٠١. (حول هذا المصدر انظر كشاف المصادر) رقم (٩).

(٢١) لمعلومات أكثر تفصيلاً عن هذا الحاكم المسلم وبداية خضوعه للمغول واستمراره في خدمتهم، حتى ضد أخوانه المسلمين، أنظر كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص . ص : ٣٥٧ ـ ٣٦٠ ، والمصادر التي وردت في حواشي هذا الكتاب.

(٢٢) هناك العديد من الكتب المعاصرة للغزو المغولي لبلاد الشام، مسلمة (عربية وفارسية)، ومسيحية، مثل : المكين جرجس، «أخبار الأيوبيين»، ص . ص : ١٧١ ـ وبعدها (لمعلومات عن هذا المصدر أنظر كشف المصادر) رقم (١١)؛ ابو شامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» من سنة ٦٥٧ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ : ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص . ص : ٢٧٧ وبعدها، ابن الفوطى، « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ منسوب اليه »، ص . ص : ٣٤١ وبعدها المعلومات عن هذا المصدر أنظر كشف المصادر في آخر البحث رقم (١٣)؛ رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص . ص : ٧١٨ وبعدها؛ وغيرها من المصادر، وخاصة الشامية التي تلت الغزو بفترات، مثل : ابو الفداء، « المختصر في أخبار البشر » (انظر الكشاف رقم)؛ ابن كثير، «البداية والنهاية»، أنظر كشاف المصادر رقم (١٥)؛ الذهبي، «العبر في أخبار من غبر» (لمعلومات عنه انظر قائمة المصادر)، «دول الاسلام»؛ (لمعلومات وافية عن هذا المصدر انظر قائمة المصادر)؛ اليونيني، «ذيل مرأة الزمان» حوادث سنوات : ٦٥٧ هـ و٦٥٨ هـ . (لمعلومات عن هذا المصدر، انظر قائمة المصادر رقم (٧) (٢٠).

(٢٣) حول استسلام خورشاه لهولاكو، أنظر التفاصيل لمؤرخ معاصر كان مصاحباً لهولاكو في حملته تلك هو : علاء الدين عطا ملك الجويني . «جها لكشاي، فاتح العالم» جـ ٣ / ص . ص : ٢٥٩ ـ وبعدها . (لمعلومات عن هذا المصدر الهام الفارسي اللغة انظر كشف المصادر في نهاية البحث رقم (٤).

(٢٤) عن كيفية المراسلات بين هولاكو وآخر خلفاء العباسيين، وماذكرته المصادر في هذا الشأن، وعن استسلام المستعصم، راجع كتابنا «سقوط الدولة العباسية»، خاصة ص . ص : ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

(٢٥) حسام الدين بن عكا طرقناه، في كتابنا المذكور في الحاشية السابقة، بنوع من التفصيل في الصفحات : ٢٩٢ ـ ٢٩٤.

(٢٦) كان تاج الدين ابو المعالي محمد بن الصلايا العلوي يحكم مدينة «اربل» وتوابعها، إبّان الغزو المغولي. لتفاصيل اكثر في هذا الموضوع، أنظر : المكين جرجس «أخبار الأيوبيين»، ص : ١٦٧؛ رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص ٧١٦، الترجمة العربية جـ ٢ / ص . ص : ٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ ابن الفوطي، «الحوادث الجامعة ـ»، ص : ٢٣٧.

(٢٧) لقد جانب رشيد الدين الصواب هنا : فمعركة «عين جالوت» لم تكن قد حدثت بعد، فقد جرت في ٢٧ رمضان سنة ٦٥٨ هـ / ٣ أيلول (سبتمبر) عام ١٢٦٠ م. ومن المعروف ان الناصر لم يُقتل الا في آخر شهر شوال ٦٥٨ هـ /

ايلول (سبتمبر ١٢٦٠ م)؛ ان صح لنا الاعتماد على رواية المكين جرجس، «أخبار الأيوبيين» ص : ١٦٧ ؛ ويؤيد ذلك مجريات الاحداث، لأن الكامل محمد قد طيف براسه في المدن الشامية، والناصر ما يزال حياً.

(٢٨) انظر ذلك في رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص : ٧٢٥

(٢٩) ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٧.

(٣٠) هو القائد المسيحي «ناورى الكرجي»، انظر الحاشية التالية رقم (٣٤).

(٣١) رشيد الدين «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ٧٢٥.

(٣٢) المصدر السابق، نفس الصفحات؛ انظر ايضاً : ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٧.

(٣٣) الجورجاني، «طبقات ناصرى» جـ ٢ / ١٢٧٢. وقد جاء في حاشية رقم (٥) سيف الدين ازكلي وعنبر حبشي.

(٣٤) يبدو لنا بوضوح أن هذا القائد هو جرجاني (كرجي) الجنسية. وبالتأكيد فإنه كان على رأس جيش من المسيحين الكرج. وقد طرقت هذا الموضوع، ومدى مساهمة هؤلاء المسيحيين في حملة المغول، راجع ذلك في كتابنا «سقوط الدولة العباسية»، ص . ص : ٣١٨ ـ ٣٢٣.

(٣٥) رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ٧٢٦.

(٣٦) كان قد شارك بجيش كبير، وربما بكل ما يملك، ووضعه تحت قيادة ابنه الصالح اسماعيل، في جيش هولاكو ضد العراق، وبغداد. وعندما عجز المغول في محاولاتهم لاحتلال مدينة «اربل» قام هو بهذا العمل نيابة عنهم راجع كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص . ص : ٣٥٧ ـ ٣٦٠ وماورد في هوامش تلك الصفحات من المصادر الهامة. رشيد الدين، «جامع التواريخ» جـ ٢ / ص ٧١٦، الترجمة العربية جـ ٢ / ص : ٢٩٩.

(٣٧) رشيد الدين، «جامع التواريخ» جـ ٢ / ص : ٧٢٦، الترجمة العربية، جـ ٢ /ص . ص : ٣٢٠ ـ ٣٢١ ب ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»،ص : ٢٧٧.

(٣٨) فيما يتعلق بحصار وسقوط حلب، راجع : ابو شامه، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع »، ص : ٢٠٣؛ رشيد الدين «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص . ص : ٧١٩ ـ ٧٢٠؛ ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٩؛ ابن الفوطي، «الحوادث الجامعة..» ص : ٣٤٢؛ ابو الفدا، «مختصر تاريخ البشر» جـ ٣، حوادث سنوات ٦٥٧ هـ وبعدها؛ اليونيني، «ذيل مرآة الزمان»، الجزء الأول، حوادث سنوات : ٦٥٧ هـ ـ ٦٥٨ هـ، وخاصة جـ ١ ص . ص : ٣٤٩ وبعدها.

(٣٩) كان له دور كبير في حملة المغول في مجموعها. وخاصة في المرحلة الثالثة والأخيرة من حملتهم. لمعلومات عنه، انظر : المكين جرجس، «أخبار الأيوبيين»، ص : ١٦٧؛ رشيد الدين،

«جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص . ص : ٧١٠، ٧١٦، ٧١٩، ٧٢٦؛ بناكتي، «تاريخ بناكتي» ص . ص : ٤١٨ - ٤٢١ (لمعلومات عن هذا المصدر انظر الكشاف رقم (٢)؛ خواند امير، «تاريخ حبيب السر.»، جـ ٣ / ص . ٩٩، (لمعلومات عن هذا المصدر انظر كشاف المصادر رقم (٦).

(٤٠) «الحوادث الجامعة» (المنسوب لابن الفوطي ص : ٣٤٠. وكذلك فقد جانب ابن كثير «البداية والنهاية» جـ ١٣ / ص : ٢١٥) الصواب عندما يشموت بن هولاكو وقد أخذ مدينة محمد الكامل عنوة واقتداراً.

(٤١) يقول ابن العبرى : «فمنعوا الناس من الدخول إليها والخروج عنها»؛ تاريخ مختصر الدول، ص : ٢٧٧.

(٤٢) ابو الفدا، «مختصر تاريخ البشر»، جـ ٣ / ص : ٢٠٣.

(٤٣) انظر، رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص : ٧٢٧. وقد ذكر مانصه :
«...، بسر بدرا مي خورد
ومادر فرزندرا ...».

(٤٤) إبن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٨٠.

(٤٥) يبدولنا ان الذين راسلوا المغول هم أناس من المسيحيين؛ فقد كان منهم عدد كبير يسكن في هذه المدينة، وخاصة ما يتعلق بالناحية الدينية ونظرة هؤلاء الناس اليها. وقد ذكرت الرويات التي جاءت في مصادر مادتنا بأن عدد الأفراد الذين بقوا أحياء، قبيل استسلامهم واجتياح المغول لمدينتهم كان يتراوح بين سبعين إلى ثمانين فرد. راجع رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص : ٧٢٧؛ كذلك : خواند امير، «حبيب السير»، جـ ٣ / ص : ٩٩.

(٤٦) ابو الفدا، «المختصر في أخبار البشر»، جـ ٣ / ص : ٢٠٣. وقد أورد ابو شامة، في مصنفه «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص : ٢٠١ خبر اخذ المغول لهذه المدينة في حوادث سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م بينما جاءت عند رشيد الدين، «جامع التواريخ» جـ ٢ / ص : ٧٢٧، ان ذلك كان في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م. وهذا على ما يبدولنا خطأ.

(٤٧) ابو شامه، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، ص : ٢٠١

(٤٨) رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ / ص : ٧٢٧.

(٤٩) اخو محمد الكامل هو الأمير الأيوبي عمر الذي قتل أيام ابيهما في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م. أما هذا الأخ الثاني الذي قتل معه، فإنني لم أعثر على اسمه في المصادر التي رجعت إليها.

(٥٠) تل باشر احدى القلاع الرومانية القديمة، وهي حصينة تقع إلى الشمال من حلب ليس بعيداً عنها، وكان اغلب سكانها من الارمن، وهم نصرانيو الديانة، كما نعرف. انظر : ياقوت الحموى، «معجم البلدان» جـ ٢/ ص : ٤٠.

(٥١) يبدو لنا ان هذه مفارقة تاريخية، فلعل المقصود سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م،

رشيد الدين، «جامع التوايخ» جـ ٢ / ص : ٧٢٧، وقد نقل عنه كما يظهر لنا، خواندر امير، «حبيب السير» جـ ٣ / ٩٩ . انظر الحاشية رقم (٢٧).

(٥٢) ابن العبرى، «تاريخ مختصر الدول»، ص : ٢٧٨.

(٥٣) عن مقتل الناصر، راجع ذلك بنوع من التفصيل، برواية شاهد عيان، في «المصدر السابق» ص : ٢٨٠.

(٥٤) ابو الفدا، «المختصر في أخبار البشر»، جـ ٣ / ص : ٢٠٣.

(٥٥) كل ما يتعلق بدور المسيحيين في حملة المغول الغربية، ومساهماتهم في حملة هولاكو ضد العراق والشام، أنظر كتابنا «سقوط الدولة العباسية» ص ، ص : ٣١٨ ـ ٣٢٣.

(٥٦) عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م.

(٥٧) ابو شامة، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» ص : ٢٠١. أنظر ايضاً : Brent, P., « The Mongol Empire, Gonghis Khen: HisTriumph and his Legacy » London, 1976, P:140; J.J. Saunders, « The History of The Mongol Conquests » London, 1971, P:113.

(٥٨) ابو شامة «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، ص : ٢٠١؛ ابو الفدا، «المختصر في أخبار البشر»، جـ ٣ / ص . ص : ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٥٩) انظر المصدر السابق، نفس الجزء والصفحات؛ كذلك : رشيد الدين، «جامع التواريخ»، جـ ٢ /ص : ٧٢٧.

المصادر التي استعنت بها

اولًا: الإسلامية

(١) ابن الأثير، عز الدين على، «الكامل في التاريخ»، بيروت، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

(٢) بناكتي، فخر الدين ابو سليمان، «سليمان بناكتي» وهو معروف أيضاً ب : روضة اولى الألباب في معرفة التواريخ والانساب، تحقيق د / جعفر شعًار، طهران، ١٣٤٨ هـ. ش.

(٣) الجورجانى، القاضي منهاج الدين سراج، «طبقات ناصري» تحقيق عبد الحي حبيبي، كابل، ١٣٤٣ هـ.ش. كما حققه وترجمة الى اللغة الانجليزية الميجر : هـ . ج .راڤرتي، لندن، ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م. وقد اعيدت طباعة الترجمة في سنة ١٩٧٠ م.

(٤) الجويني، علاء الدين عطا ملك، «تاريخ جما نكشاى» اي «تاريخ فاتح العالم» تحقيق الاستاذ الكبير المرحوم ميرز محمد بن عبد الوهاب القزويني، طبعة ليدن في السنوات : ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م. وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية على يد العلامة المستشرق الانجليزي الاستاذ الدكتور ج.ا.بويل، طبع في مطبعة جامعة مانشستر، ١/١٩٥ م.

(٥) ابن خلكان شمس الدين ابو العباس احمد، «وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان»، تحقيق م.م. عبد الحميد، بيروت، ١٩٦٨ م.

(٦) خواند امير، غياث الدين بن همام الدين، «تاريخ حبيب السير في أخبار افرادى بشر»، تحقيق : م.د. سياقي، طهران، ١٣٣٣ هـ.ش.

(٧) الذهبي، شمس الدين محمد، «العبر في أخبار من غبر» تحقيق د/صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م، «دول الاسلام» حيدر أباد، ١٣٣٧ هـ.

(٨) رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدوله الوزير، «جامع التواريخ» الجزء الأول «من بداية قبائل المغول حتى نهاية حكم تيمور قاآن» والجزء الثاني «من بداية سلطنة هولاكو خان حتى نهاية حكم غازان خان»، تحقيق : بهمن كريمي، طهران، ١٣٣٨ هـ.ش.
وقد ترجم القسم الأول من الجزء الثاني إلى العربية من ترجمة فرنسية قام بها نشأت وآخرون، بيروت، ١٩٦١ م.

(٩) سبط بن الجوزى، يوسف بن قزغلو، «مرآة الزمان»، تحقيق دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.
ابو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل، «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، وهو المعروف أيضاً: «الذيل على الروضتين»، القاهرة، ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م.

(١٠) ابن العبرى، أبو الفرج كريكورى، «تاريخ مختصر الدول» ترجمه المؤلف من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وحققه صاليحانى، بيروت، ١٩٥٨ م

(١١) ابن العميد، المكين جرجس، «أخبار الأيوبيين»، تحقيق : س.كهن، نشر في مجلة الدراسات الشرقية، ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م، جـ ١١/ ص.ص : ٧٠٩ - ١٧٧.

(١٢) ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل، «المختصر في أخبار البشر»، القاهرة، ١٣٢٥ هـ.

(١٣) ابن الفوطي، «كمال الدين عبد الرزاق»، منسوب اليه مصنف : «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»، تحقيق الاستاذ المرحوم مصطفى جواد، بغداد، ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢م.

(١٤) القزويني، حمد الله المستوفي، «القسم الجغرافي من كتاب : «نزهة القلوب» ترجمة الى اللغة الانجليزية المستشرق : ج لوسترنج، طبع في ليدن، هولندا، ١٩١٩ م» .

(١٥) ابن كثير، عماد الدين ابو الفدا، «البداية والنهاية»، بيروت ١٩٦٧ م.

(١٦) المؤلف مجهول، «حدود العالم»، ترجمة وشرحه في اللغة الفارسية إلى اللغة الانجليزية الاستاذ الدكتور/ ف.. مينورسكي، حرره الاستاذ الدكتور : س.أي.بوزوورث ل : إحياء ذكرى إي.ج.و. جب. السلسلة الجديدة، ١١، لندن، ١٩٧٠ م.

(١٧) وصاف الحضرة، شرف الذين عبد الله، «تاريخ وصاف» وهو معروف أيضاً ب : «كتاب تجزية الامصار وتزجية الاعصار»، تحقيق عبد المحمد أيتي، طهران، ١٣٤٦ هـ.ن.

(١٨) ياقوت الحموى، «معجم البلدان»، بيروت، ١٩٥٧ م.

(١٩) البونيني قطب الدين موسى، «ذيل مرآة الزمان»، حيدر آباد، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.

ثانياً : المصادر بلغة غير الاسلامية :

(٢٠) الكربيني، جون البلانو الكربيني، «تاريخ المغول»، تحقيق : س. دوسون، تحت عنوان : «البعثة المغولية»، لندن، ونيويورك، ١٩٥٥ م.

ثالثاً : المراجع «بالعربية وغيرها» :

ا ـ العربية

(٢١) الغامدي، سعد حذيفة

« سقوط الدولة العباسية » ١٤٠١ هـ

(٢٢) الغامدي، سعد حذيفة، «أوضاع الدول الاسلامية في الشرق الاسلامي»، ١٤٠١ هـ.

ب ـ الانجليزية

(٢٣) برنت، بيتر، «الامبراطورية المغولية، جنكيز خان، انتصاره وتراثه »، لندن، ١٩٧٦ م. (وقد سبق في الحاشية رقم (٥٧) ان دونت اسم الكتاب ومؤلفه وداره التي طبع بها باللغة التي كتب بها المرجع).

(٢٤) ساووندرز، ج.ج، «تاريخ الفتوحات المغولية»، لندن، ١٩٧١ م. (وقد ذكرت في الحاشية رقم (٥٧) اسم المؤلف وعنوان مصنفه باللغة الانجليزية).

* * *

○ ○ ○

«ان خطتي التي سرت ـ ولا أزل أسير عليها ـ هي: إقامة الشريعة السمحة، كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف».

الملك عبدالعزيز